

أفاق المدرسة الحديثة - نظرة استشرافية-

Prospects of the Modern School - A Forward-Looking View

عجوج عبد القادر*

جامعة جيلالي ليايس سيدي بلعباس (الجزائر)

adjoudjabdelkader2024@gmail.com

تاريخ القبول: 2024/12/21

تاريخ الاستلام: 2024/12/02

ملخص:

بلغ مجتمعنا اليوم من شدة التعقيد وتراكم المعارف حدّا، من المستحيل على الفرد معه، أن يؤدي دورا فيه، ما لم يُؤَهَّل لذلك تأهيلا مناسباً. على هذه الفكرة يتأسس بحثنا في رؤيتنا لرسالة المدرسة الحديثة اليوم، والتي وجب عليها إعداد الفرد ليصبح عضوا نافعا في المجتمع، يساهم في بنائه وتقدمه، ويحدث ذلك الانسجام المنشود في الرضا النفسي للفرد مع بيئته ووسطه، وقناعتنا أنّ هذه الأهداف النبيلة المتوخاة من مؤسساتنا التعليمية الحديثة، لن تكون إلّا باستشراف تربوي متبصر.

الكلمات المفتاحية: المدرسة الحديثة؛ العملية التربوية؛ التعليمية؛ الاستشراف؛ المجتمع .

Abstract:

Our society today has reached a level of complexity and accumulation of knowledge, where it is impossible for an individual to play a role in it unless he is properly qualified. This idea is the basis of our research in our vision of the mission of the modern school today, which must prepare the individual to become a useful member of society, contributing to its construction and progress, and achieving the desired harmony in the psychological satisfaction of the individual with his environment and milieu, and our conviction that these noble goals sought by our modern educational institutions will only be achieved through insightful educational foresight.

Keywords: Modern school - educational process - education - foresight - society.

مقدمة:

تستهدف العملية التربوية والتعليمية في تطورها وحركيتها بناء شخصية الفرد في جميع جوانبه الجسمية، والعقلية، والوجدانية والخلقية، حتى يكون هذا الفرد عضوا نافعا في المجتمع الذي يعيش فيه، ويتفاعل معه، ويأخذ عنه ويعطيه. ومن هنا فإن الفرد والمجتمع كلاهما يستفيد من تطوّر العملية التربوية والتعليمية.

تعد المدرسة الحديثة مؤسسة تربوية تتولى تنشئة المتعلم والتأثير في نموه العقلي والخلقي والاجتماعي، بحيث تعدّه للتكيف الناجح مع الحياة ومنطق العصر الذي يسير على مناهج العلم والتكنولوجيا ومختلف صنوف المعرفة. ولا شك أن التقدم الذي بلغه ميدان التربية والتعليم، كان له أكبر الأثر في تطوير العمل التربوي وتطوير وظيفة التعليم، بحيث لم تعد هذه الوظيفة قاصرة على تلقين المعلومات وإنما اتجهت أساسا إلى هدف تحقيق الشخصية الانسانية المتكاملة والمنتجة والقادرة على العمل والتفكير الحرّ.

لم تصبح المدرسة كمؤسسة تربوية تعليمية هي المكان الوحيد الذي يتلقى فيه التلميذ المعارف ويكسب المهارات والقيم كما كانت النظرة إليها في الماضي، فقد أثبتت الدراسات الحديثة أن ما يتعلمه الأطفال في المجتمعات الغربية من المدرسة ضئيل جدا إذا قيس بما يحصلون عليه من معارف ومعلومات خارج المدرسة، وبلغت نسبة ما تقدمه إليهم المؤسسات الاجتماعية والثقافية 80 بالمائة من المعلومات والمعارف، لذلك وجدنا عندهم عناية وتأكيذا على هذه المؤسسات الاجتماعية والثقافية التي تشارك المدرسة في امداد التلاميذ بهذا النوع من التعليم الذي أطلق عليه التعليم اللامدرسي، أو التعليم اللاصفي أو التعليم الموازي.

ونتيجة لذلك عدلت المدرسة عندهم في وظيفتها التقليدية فتحوّلت من اللاحاح على أسلوب التعليم الى التركيز على أسلوب التعلم، وتوسعت في استخدام التقنيات الحديثة التي تمكن التلميذ من التعلم في داخل المدرسة وفي خارجها¹.

ومن المؤسسات الاجتماعية والثقافية التي تسهم في تقديم أنشطة تعليمية وثقافية تكمل رسالة المدرسة وتدعمها : المساجد المكتبات والمتاحف والجامعات المفتوحة.

وإيماننا من الدول المتقدمة بالأثر الكبير الذي تخلفه هذه المؤسسات في نفوس المستفيدين من خدماتها فقد عملت على اخضاع ما تقدمه من معارف للأسلوب العلمي الذي يضع الأهداف ويتخذ الوسائل لتحقيق هذه الأهداف ويقوم بذلك خبراء اختصاصيون بالأفلام ثقافية موجهة والكتب مختارة منتقاة والمسرحيات والأفلام مشخصة الذين يتخرجون في المؤسسات التعليمية القائمة لا يمكن أن نعد أعدادهم منتهيا وكاملا في هذا العصر المتطور وأمام هذه الحياة المتغيرة ينبغي أن يتهيا المتخرج لما يستجد من تغيرات تحدث ومعارف تجد وأن يوطن نفسه على تحمل مسؤولية تثقيف ذاته لأن التربية بمفهومها الصحيح ينبغي ألا تقف عند حد القيم والمهارات

والمعلومات التي تقدمها المدرسة بل هي عملية مستمرة ومصاحبة للإنسان في جميع مراحل حياته وهذا التعليم هو الذي حث عليه الرسول ﷺ في قوله (أطلب العلم من المهد الى اللحد) وهو ما يسمونه في الوقت الحاضر التعليم المستمر.

ولبعض علماء التربية رأي في أن يبدأ هذا النوع من التعليم للجنين وهو في بطن أمه عن طريق عناية الأم وتقديم الرعاية الصحية والنفسية لها حتى تلد طفلا سويا وذلك نحافظ على الطفل وعلى قدراته².

أصبح التعليم المستمر كصيغة جديدة من صيغ التعلم ضرورة من ضرورات الحياة في العصر الحديث حتى يقف المتعلم على أحدث منجزات العلم ويتعرف على ما وصل اليه العالم في شتى مجالات الحياة من تقدم علمي وتكنولوجي خاصة ونحن نعيش في عصر تتلاحق فيه المعلومات والمعارف وتخطو فيه الإنجازات العلمية بخطى واسعة. وبذلك يتكيف المرء مع عصره ولا يغترب عن واقع حياته الذي يتغير الان بسرعة مذهلة.

إن التقدم العلمي الهائل غير مفهوم التعليم فلم يعد ذلك النوع من العلوم التي تقدم داخل جدران المدرسة والجامعة ولم يصبح مشروطا بعام دراسي تنتهي عند المقررات ويدخل الطلاب الامتحان ثم يحصلون على مؤهل معين بل هو تعلم مستمر ممتد يعد تعبيراً عن مبدأ من المبادئ الأساسية للتعليم مدى الحياة.

ومثل هذا النوع من التعليم الذاتي المستمر يتطلب إعادة النظر في وظيفة المدرسة ووظيفة المعلم وطريقة إعداده وتدريبه للعمل في هذا النوع من التعليم تكون وظيفة المدرسة والمعلم مساعدة المتعلم لتنمو معارفه وتهيئة جميع الظروف للتلاميذ للاعتماد على النفس في تحصيل المعرفة والتعرف على ما يستجد من تغيرات في المجتمع.

وغط آخر من أنماط التعليم لجأت اليه بعض الدول المتقدمة لمواجهة بعض المشكلات وتحت ظروف معينة وهي المدرسة ذات الصف الواحد أو ذات المعلم الواحد. وقد نشأت هذه المدرسة في القرى ذات الأعداد القليلة من السكان التي لا يكفي عدد أطفالها لفتح مدرسة من عدة صفوف متعاقبة ولاقت هذه المدرسة ترحيباً في بعض الدول الأجنبية لانخفاض تكلفتها اذا قيست بتكلفة المدرسة التقليدية المعروفة³.

وتجمع هذه المدرسة مستويات مختلفة من التلاميذ لذلك ينبغي على المعلم مراعاة الفروق الفردية في المستوى التحصيلي بين ذوي الأعمار المختلفة ومراعاة الفروق الفردية بين أطفال العمر الواحد.

ومن الأساليب التربوية الحديثة أسلوب التعليم بالمراسلة وهو صورة تربوية جديدة تحل كثيراً من المشكلات الفنية والإدارية في مجال التعليم مثل نقص المعلمين المؤهلين والمنشآت المدرسية والمواد المستعملة في التعليم التقليدي. وهو منهج من مناهج التعليم الذاتي المبرمج عاون على وجوده التقدم التكنولوجي في وسائل الاتصال.

ويتزايد استخدام الدول لهذه الطريقة التعليمية كوسيلة لتلبية مطالب العديد من أبناء الشعب ممن لا تتاح لهم وسائل التعليم بالطرق العادية فهناك الملايين ممن لا يتسنى لهم الالتحاق بالفصول المدرسية، أو الأنواع الأخرى من التعليم الصفي حيث تتباعد المسافات ويتعذر على المتعلم حضور إلى مكان المدرسة فتنقل إليه المادة في مقر سكنه، أو بسبب نقص اعداد المدارس مما يجعل نسبة كبيرة من أبناء الشعب لا تتمكن من الانخراط في صفوف المدرسة، أو بسبب نقص عدد المعلمين المؤهلين علميا ومهنيا.

ويمكن أن يقدم هذا النوع من التعليم للمنتهين من المرحلة الابتدائية، ولم تساعدهم ظروفهم على الاستمرار في الدراسة، والتدرج في المراحل التعليمية الأخرى، وذلك حتى نقيهم الارتداد إلى الأمية.

وقد نجح هذا النوع من الدراسة في مجال تدريب المعلمين في كثير من الدول المتقدمة التي طبقته لأن الخدمة التدريسية فيه تغطي أعدادا ضخمة من المعلمين الذين تتم بهم مواجهة التفجر التعليمي، والمتزايدة إلى المعلم المدرب في وقت عجزت فيه معاهد اعداد المعلمين عن الوفاء بالأعداد المطلوبة.

وإيماننا من منظمة اليونسكو العالمية⁴ بأهمية هذا النوع من التعليم، ورغبة في مساعدة الدول النامية التي أخذت بهذا الأسلوب، عهدت إلى لفيف من الخبراء لإعداد مجموعة من المراجع العلمية في هذا الموضوع.

وتعد المدرسة الشاملة نموذجاً حديثاً لإصلاح التعليم وتجديده في المؤسسات التعليمية من الطر الابتدائي إلى الثانوي، يحتاج إلى تجريب للتعرف على نتائجه قبل تنبيه والأخذ به ونشره. فقد حققت هذه المدرسة نجاحاً كبيراً في دول متقدمة مثل أمريكا وروسيا وإنجلترا وألمانيا والسويد.

وتقوم فكرة هذه المدرسة على أساس الجمع بين المواد النظرية الأكاديمية، والمواد المهنية العلمية، والمواد الفنية وتحقق هذه المدرسة تكافؤ الفرص بين أبناء طبقات المجتمع، وتوثق الصلة بين المتخرج فيها وبين المجتمع لأنها تعدد إما لمواصلة الدراسة التالية أو الانغمار في الحياة العلمية وفقاً لمطالب التنمية في البلاد، كما تزيل الحدود التقليدية بين العمل الفكري والعمل المهني فوجود مدرسة واحدة لجميع الطلاب تساعد على تفاهمهم، وتؤدي إلى التقارب فيما بينهم، وبذلك تتحطم الفوارق الاجتماعية بسبب وجودهم في مدارس منفصلة، وفي قيامها قضاء على ثنائية التعليم، وربط التعليم الفني بالتعليم العام.

ولا شك أن التقدم العلمي والتكنولوجي يفرض على المدرسة العربية مسؤولية الجمع بين الخبرة النظرية العلمية، كما أن التوسع الصناعي، والتطور الاقتصادي يفرض علينا العناية بالعلوم وتطبيقاتها، بحيث "أصبح التركيز في أي إصلاح تربوي على مخرجات التعليم في علاقته بالمناهج، وبالكتب المدرسية، وبكل ما من شأنه أن يدعم جهود المرسين، لتحسين تعلم التلاميذ وتمكينهم من المهارات والمعارف والاتجاهات التي تؤسس لتكوينهم واعدادهم للمستقبل وللمساهمة الفعالة في التنمية المجتمعية"⁵.

مع وجوب خروج تلاميذ هذه المدرسة إلى تدريبات علمية يتدربون فيها إلى المصانع أو المزارع والمصالح المختلفة، وبذلك يكتسب التلاميذ مهاراتهم العلمية والعملية، ويتم تمهين المواد الدراسية.

ولنا كبير الأمل أن يراعى في تطوير هذه المدارس اتباع النهج العلمي، وتطبيق برنامج للبحوث والدراسات ووضع خطة وافية يجري تنفيذها مرحلة بعد مرحلة.

ولتحديث التعليم وتطوير التربية هناك جانب آخر من جوانب التعليم لا نغنى به العناية اللازمة وهو تربية الطفل قبل المرحلة الابتدائية. ويمتد تأثير العناية بالطفل في مرحلة ما قبل المدرسة الابتدائية على التربية في المراحل التالية، ولا يعد الاهتمام بتربية الطفل في هذه المرحلة ضرباً من الرفاهية والترف.

وعلينا أن نبحث عن الصيغة المناسبة لتقديم هذه العناية سواء عن طريق عناية الأسرة في المنزل، أو عن طريق ما نسميه رياض الأطفال، أم عن طريق برامج الاذاعة والتلفزيون، وبذلك تتخذ هذه التربية مغزى جديداً من منظور التعليم المستمر مدى الحياة - فالمدرسة هي مجرد خادمة للنظام الأسري والاجتماعي⁶.

ولما كانت المرأة العربية المعاصرة قد خرجت إلى مجالات العمل فقد نجم عن ذلك ترك الأطفال في كثير من الأحيان داخل المساكن دون اشراف دقيق، الأمر الذي يتطلب التفكير في تهئية جو آمن ينطلق فيه الأطفال على سيّتهم، ويمارسون فيه حرية اللعب والنشاط.

وليست تربية الأطفال مقصورة على رياض الأطفال فحسب، بل للآباء والأجداد ومختلف الأقارب دور كبير في ذلك، وهنا نؤكد على مفهوم التربية الواسع من حيث أنه عمل لا يضطلع به المعلمون وحدهم، وإنما يشارك فيه المجتمع والأسرة بكل أفرادها.

وتشارك في تربية الأطفال ورعايتهم في دول متقدمة أثناء فترة ما قبل المدرسة مؤسسات تديرها وزارات مثل الصحة والشؤون الاجتماعية والتربية والتعليم، وجمعيات خاصة.

وتعد السنوات الست الأولى من حياة الطفل على جانب كبير من الأهمية لبدأ نمو قدرات التعلم، فيبدأ الطفل بعد الشهر السابع أو الثامن في اكتساب اللغة، ويظهر عنده في الشهر الثامن حب الاستطلاع، والنمو الاجتماعي. وينبغي أن تقابل هذه الظواهر بالتشجيع والمكافأة وإلا فمن الممكن أن تخبو وتتلاشى.

وتعد السنوات الثلاث الأولى سنوات عظيمة الأهمية في حياة الطفل ففيها تنمو اللغة والمفاهيم والانفعال، والسلوك الاجتماعي، وينمو الذكاء في السنة الرابعة بفضل البيئة كما اتفق عليه العديد من المختصين.

ويتوقف النمو السليم للطفل وتربيته السوية على كفاية من يتولى أمره بالرعاية، ولا يتطلب تربية الطفل في السنوات الأولى مستوى ثقافيا عاليا من الوالدين، ولكن حين تنمو لغة الطفل وتتكون مفاهيمه تؤثر ثقافة الآباء في تربية أطفالهم، لذلك يلجأ بعض الآباء في دول متطورة الى استشارة بعض الأسر الاخرى لمعرفة الطرق السليمة في تربية الأطفال، ويتلقى بعضهم تدريبا عمليا على تربية الأطفال حتى يتمكنوا من تلبية حاجات أطفالهم النفسية والتربوية. "فعملية التربية، عملية تنشئة اجتماعية، يلقن الطفل خالها، كل ما يؤدّ المجتمع غرسه من صفاة وخصال، فإذا ما شبّ وجد نفسه مدفوعا إلى نوع السلوك التي تسير عليه الجماعة"⁷.

ونخلص مما تقدم إلى ضرورة الالتفات إلى تربية الطفل في السنوات الأولى وعدها مرحلة تعليمية مستقلة، والتفكير في الصيغة المناسبة لاستغلال هذه المرحلة خاصة وأن مؤسسات تربية الأطفال في معظم الدول العربية لا تستوعب إلا أعداد قليلة من الأطفال الراغبين في الالتحاق بها، ومعظمها مؤسسات خاصة ترتفع تكاليفها مما يجعلها مقصورة على أبناء فئة قليلة من الشعب.

ولتحديث التعليم في وطننا العربي ينبغي اعادة النظر في جميع مناهجنا الدراسية والعمل على تطويرها وتطعيمها بالعلوم الحديثة لأن العلم أساس التقدم الحضاري، وتقاس درجة تقدم الأمم والشعوب بدرجة أخذها بالأساليب العلمية في حياتها، ومن أخطر الأمور على الأمم أن تظل جامدة في مكانها لا تطوّر مناهجها وطرق التدريس في مدارسها، والعالم من حولها يقفز بخطى سريعة.

إنّ ركيزة المدرسة الحديثة، هي المعلم. وإنّ مهنة التعليم من أشقّ المهن وأصعبها، لأنها تتعلق ببناء الفرد الصالح، ومن هنا ندرك أهمية وخطورة الرسالة التي يقوم بها المعلم، ذلك لأننا نضع بين يديه مخلوقا ضعيفا، ونريد منه أن يبنيه فكريا ليصبح عضوا اجتماعيا نافعا، ومكتمل الشخصية السويّة، ملما بأنواع المعارف والمهارات، مزودا بالعادات والقيم الأخلاقية والعلمية، والتي تمكنه من التكيف مع بيئته، مساهما في العمل على تطويرها وازدهارها. ولخطورة وصعوبة مهمة المعلم، فإن جميع الدول المتقدمة، تضع المعلم في أرفع مكان، وأسمى منزلة، لأن المفكرين والمنظرين لهذه الأمم، أدركوا أنّ بيد المعلم تكون نهضة الأمم والحضارات إذا أحسن تأدية رسالته، ويبدعه يكون انحدارها، وتخلّفها، إذا هو تهاون في تأدية رسالته النبيلة .

لأجل ذلك، فإنّ الاهتمام بإعداد وتكوين المعلم، ينبغي أن يحتل مكانة لائقة ومنزلة جلييلة بين اهتمام الدولة، كيفما كانت منظومتها السياسية.

"احتل المدرس في البيداغوجيا الحديثة، مركز الصدارة، تتمحور حوله، باقي العناصر، وتتمثل هذه المحورية، في تولّيه، عددا من الأدوار، داخل الفصل، هو الذي يحددها ويمارسها. فهو ينتقل من عالم المعرفة، ما يراه ضروريا

ومفيدا للمتعلم، وهو الذي يحدد أساليب التبليغ وأشكال التقييم، وغيرها من الممارسات، التي جعلت منه عنصرا بارزا في العملية التعليمية، يقرّر كل شيء ويلزم بكل شيء⁸.

لا يمكن أن يرتقي المعلم في العملية التعليمية، ما لم يتوفر لديه الإيمان الكامل بنبل رسالته، ومحبتها والإخلاص في ذلك لله، مدركا تمام الإدراك، أنها مهنة شريفة، ويكفيها شرفا أنها مهنة الأنبياء والمرسلين، وننوّه في هذا بكل المعلمين المخلصين والمتقنين والمحبين لهذه المهنة المقدسة.

ومن رؤيتنا لهذا الأمر، ننصح المعلم أن يعتمد أولا على مجهوده الذاتي، في تثقيف نفسه ومداومته على القراءة وحبّ الاطلاع على الاتجاهات الحديثة في علوم التربية والنفس، والطرق الحديثة المبتكرة في الحركة التعليمية، تعينه على أداء دروسه، أداء جيدا ومبتكرا، كما تعينه على فهم طبيعة المتعلمين وخصائص نموهم، واكتشاف فروقهم الفردية، وتشخيص المعوّقات التي تحول دون إحاطتهم بصنوف العلم والمعرفة، ومفتاح ما انغلق على المتعلمين، بيد المعلم وحده، وبتوفيق من الله، يستطيع أن يقدم لهم من الخبرات، ما يلائم استعدادهم، وقدراتهم في التحصيل.

يجب على ذات المعلم، أن يلتمس من المراجع المختلفة، ما يزيده فهما وإحاطةً بمسائل العلوم والفنون، التي يقوم بتدريسها، ثم لا بدّ أن يتعمّق في لغته الأم، اللغة العربية، لغة الفكر، والأخلاق، وأن يُتابع ما يُكتب بها من علم وفكر، وأدب وفن حتى يستقيم لسانه، وتتسع مداركه، ناهيك عن وجوب إلمامه باللغات الحيّة، ليجعلها روافد لغته الأم، وينهل ممّا معارفها وعلومها، خدمةً لمهنته النبيلة.

وفي اعتقادنا الراسخ، فإن القراءة، ليست عملا زائدا للمعلم، ولا يجب أن ينظر إليها، على أنها ترفّ فكريّ زائد، يقوم بها المعلم، كيفما شاء، وإنما يجب أن يؤمن بأنها من أولى الضرورات، التي تعينه على التميّز في أداء عمله بإتقان واحترافية، وهنا لا بد من الإشارة إلى السلطات والهيئات المشرفة على مهنة التعليم، التكفل التام والمستمر، بتحسين مستوى تكوين المعلمين أثناء مسار الحركة التعليمية، وذلك بتكثيف الأيام التربوية، والدورات التدريبية، والملتقيات التكوينية. لأجل أن يتعرّف المعلم على الأسس، والمبادئ، والمهارات الأساسية، وكل جديد في عالم التربية والتعلم المعاصر.

وعلى عاتق هاته السلطات، تحسين المستوى الاجتماعي للمعلم، وتلبية احتياجاته المادية، والرفع من قيمتها أمام مشقة هذه المهنة، حتى لا يحمل المعلم إلا همّ التركيز في عمله، والإتقان فيه، والاهتمام الجادّ بتنشئة الفرد وإعدادده، وسط ظروف تدرّسٍ مريحة ومساعدة على التعليم والتلقين. يقول جون جاك روسو⁹ "الحق أنّ الذي يصنع الرجال، يجب أن يكون أكثر من رجل، أتمكّن حقّا العثور على المربي، هذا المخلوق النادر الوجود؟ أما أنا فإنني أشعر كثيرا بعظم واجب المربي، ولن أجسر يوما على تحمّل مسؤولية كمسؤوليته".

تتلخّص، رؤيتنا السامية إلى المدرسة الحديثة في أنها مؤسسة تربوية تتولى تنشئة الفرد وإعداده للتكيف الناجح مع منطق العصر ومع الحياة البيئية. وإن المعلم يضطلع برسالة ثقيلة وخطيرة تتناسب مع أهمية أهداف السياسة التربوية والتعليمية، ومن أجل ذلك كان لزاما إعداد هذا المعلم والاهتمام بشؤونهِ واحتياجاتهِ، وإعداده ثقافيا ومهنيًا، وعلى ذات المعلم العمل على تحقيق نموه وتطوّره في مهنته الإنسانية والنبيلة والشاقة.

ومن المهم ومن تكرار القول، أن نؤكد على أهمية إعداد الدرس بالنسبة للمدرس، فالمدرس الذي يدخل قسمه، دون أن يكون لديه تفكير وتدبير سابقين في خطة الدرس من حيث الخطوات والتطبيقات، والوسائل والأهداف، لعمري هو معلم فاشل، غير آبهٍ بخطورة وجسامة المسؤولية الأخلاقية والتربوية، في فقه هذه المهنة الشريفة.

إنّ المعلم الذي يدخل قسمه، ليرتجل الدرس، ارتجالاً دون سابق إعداد، في اعتقادي هو كالقائد الذي يخوض بجنوده، معركة، دون سابق استراتيجية، أو إحكام خطة، فلا مجال هنا للنصر، ومصيره هو وجنوده خسارة المعركة.

ربّما كان يسوغ للمعلم في المدرسة التقليدية القديمة، أن يرتجل دروسه، متّبعا أسلوب التلقين بالتسميع، وهدفه في ذلك، حشو أذهان المتعلمين، بمقدارٍ ضخم من المعارف والمعلومات.

ولكن هذه الطريقة المبنية على الصدفة والارتجال، لم يعد لها مكان في مؤسساتنا التعليمية الحديثة، لأن الحياة التي تعيشها أجيال اليوم، غير الحياة التي كان عليها أجيال الأمس، فقد تنوّعت المعارف، طورت العلوم، وتعقّدت الحياة، وتعقدت معها وظيفة المدرسة، وتغيّرت تبعاً لذلك أهداف وغايات التربية المنشودة، فلم يعد حشو ذهن التلميذ بالمعلومات، هو الغاية القصوى، وإنما أصبح التأكيد على تنمية الشخصية الكاملة، هو الهدف الأسمى للتربية، واقتضى ذلك من المعلم أن يعد عدة كاملة وشاملة، وأول خطوة في ذلك، هي إلمامه بمادة الدرس، واتساع مدركاته بمواضيع المواد ومضامينها، واجتهاده وحكمته في حسن توزيعها زمنياً، طبقاً لنظام البرنامج خلال الموسم الدراسي، وطبقاً لمجموع الساعات التي سيقوم بتدريسها. ومن هنا فإن المعلم مطالب إلى جانب معرفته العامة والخاصة بالبرنامج، باللجوء إلى المطالعات المتنوعة لتنمية معارفه، من أجل الغوص في جزئيات المادة، حتى يكون ملماً، ومحيطاً بجميع ما يتصل بمواد التدريس، كمّاً وكيفاً، وحتى يحيل العسير يسيراً، والمركّب بسيطاً، والغامض واضحاً.

ومن هذا المنطلق، تسهل على المعلم عملية تهديد الأهداف المتوخاة من درسه، والتي هي من صميم العملية التعليمية، فإن الهدف من العملية التعليمية، كما اتفقنا وأشرنا سابقاً، ليس هو المعلومات التي نقدمها للمتعلمين في ذاتها، ولا المهارات التي ندرّبهم عليها في ذاتها كذلك، وإنما إلى جانب هذا، نطمح إلى تحقيق هدف

أكبر وأسمى، وهو تنمية وتكوين، الشخصية السويّة المتكاملة للمتعلم، في جميع أبعادها الجسمية، والعقلية، والوجدانية، والإجتماعية، ونحن نستطيع القيام بهذا، عن طريق غرس مجموعة من الأهداف، والقيم السليمة في نفسية هذا المتعلم. ففي البعد الجسمي، تتكون مثلاً اتجاهات نحو النظافة، والغذاء السليم، والوقاية الصحية.

وفي البعد العقلي، تتكون اتجاهات، التفكير السليم، والتفكير المنطقي، والتفكير العلمي، وفي البعد الوجداني الانفعالي، تتكون اتجاهات نحو اكتساب مجموعة من السمات الوجدانية السليمة، كالاتجاه، والمثابرة، والمرونة، مع الابتعاد عن حالة الاكتئاب والانعطاش، وفي البعد الاجتماعي للمعلم تتكون لدى المتعلم مجموعة الاتجاهات والقيم المرغوب فيها، كالتعاون، والتكافل والتراحم، والعمل الجماعي، وغير ذلك من القيم والاتجاهات التي يُمكن للمعلم الفطن الوصول بالمتعلم إليها. ويكون التوفيق من الله، بعد إخلاص النية وصدق الخطة، وإتقان العمل.

إنّ المدرس الكفء، هو الذي يقدم إلى الأجيال الصاعدة تراث أمته، وحصيلة الفكر المعاصر، ويتوقف بناء شخصية المتعلمين، على مهارة هذا المدرس، وطريقة تقديمه لهذا التراث، وذلك الفكر، ومن البديهي أن يعود ضعف المتعلمين في استيعاب مواد التدريس، في كثير من جوانبه، إلى ضعف الإعداد العلمي والمهني لمدرس المادة. وقد بات واضحاً عناية الحكومات و المؤسسات التعليمية بالمتعلم، لن تؤتي ثمارها، ما لم تدعمها العناية بإعداد وتدريب المدرس، في ضوء ما تقدمه العلوم التربوية من أصول وقواعد، وما تستخدمه من أساليب وتقنيات، وبدون توفير المدرس الكفء، فإن الكثير من جهود الإصلاح والتطوير، قد تذهب هباءاً منثوراً.

يقول -محمد مكسي- في كتابه -الاستراتيجيات التعليمية: "مما لا شك فيه، أنّ خطورة تكوين المدرسين في مجال إعداد الدروس، تزداد حدة في تلك الفترات التي يحمل فيها السياق التعليمي والتعلّمي تحولات تنظيمية(هيكلية) وفلسفية وثقافية، وتُحل فيها منظورات ومفاهيم محل أخرى، وتظهر فيها مقاربات وطرائق بيداغوجية، يراؤ بها تطوير التعليم و التعلّم".¹⁰

فالأمر منوط بخصائص المدرس الفعال من حيث كفاءته وقدراته على إعداد دروسه وفق تخطيط منهجي، محكم وهادف، يكون ركيزة المؤسسة التعليمية الحديثة.

خاتمة:

إن حركية التربية والتعليم هي عملية إحداث تغيير في شخصية الفرد، بحيث يؤدي هذا التغيير إلى تشكيل الشخصية ونموها في شتى جوانبها. كما أنها عملية مستمرة متطورة لا تتوقف بانتهاء فترة الدراسة، ولا بانفصال الفرد عن الأسرة، وإنما يظل محورا أساسيا فيها، طالما كان مستمرا في تفاعله مع الحياة. وهذا من أجل الأهداف التي تخرج إليها هذه العملية وتؤديها للمجتمع، هي المحافظة على ثروته البشرية والفكرية وتنميتها، ثم توجيهها في اتجاه خدمة جوانب ومجالات المجتمع، وذلك مساهمة للسياسة التربوية والاجتماعية والاقتصادية لهذه المجتمع.

تعد المدرسة الحديثة مجتمعا صغيرا، تجتمع فيه كل الفواعل التي ترتقي بالفرد نحو أفاق مستقبلية متطورة، إذ هي الحلقة التي تربط المنزل والمجتمع حيث تنصهر فيها العوامل المساعدة على تطوير فكر الفرد من أجل معرفة حقوقه وواجباته ويكون أمينا في كل معاملاته. استعدادا للانتفاع بالحياة الاجتماعية في المدرسة.

الهوامش:

- 1- ينظر، محمد مكسي، الاستراتيجيات التعليمية - التعليمية والكفايات، ط1، الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء، المغرب: 2005، ص 14.
- 2- ينظر، محمد عبد القادر أحمد- دراسات في التربية العربية، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، جمهورية مصر العربية: 1978، ص 50.
- 3- ينظر، المرجع نفسه، ص 51.
- 4- عبد القادر بن محمد، دروس في التربية وعلم النفس، وزارة التعليم الابتدائي والثانوي، الجزائر: 1974، ص 53.
- 5- فاطمة حسيني، كفايات التدريس وتدرّس الكفايات، ط1، مكتبة السلام الجديدة الدار البيضاء، المغرب: 2005، ص 125.
- 6- سلسلة التكوين التربوي، أهمية سوسولوجيا التربية- اشراف خالد المير وادريس قاسمي، دار الاعتصام- الدار البيضاء، المغرب: 2001، ص 46.
- 7- عبد القادر بن محمد، دروس في التربية وعلم النفس، ص 10.
- 8- سلسلة التكوين التربوي، أهمية سوسولوجيا التربية- ، ص 83.
- 9- عبد القادر بن محمد، دروس في التربية وعلم النفس، ص 152.
- 10- محمد مكسي، الاستراتيجية التعليمية - التعليمية والكفايات، ص 8.

قائمة المراجع:

1. سلسلة التكوين التربوي، أهمية سوسيولوجيا التربية، (الدار البيضاء، المغرب: دار الاعتصام، 2001).
2. عبد القادر بن محمد، دروس في التربية وعلم النفس، (الجزائر: وزارة التعليم الابتدائي والثانوي، 1974).
3. فاطمة حسيني، كفايات التدريس وتدريس الكفايات، ط1، (الدار البيضاء، المغرب: مكتبة السلام الجديدة، 2005).
4. محمد عبد القادر أحمد، دراسات في التربية العربية، ط1، (القاهرة - جمهورية مصر العربية: مكتبة النهضة المصرية، 1978).
5. محمد مكسي، الاستراتيجيات التعليمية - التعليمية والكفايات، ط1، (الدار البيضاء ، المغرب: الدار العالمية للكتاب، 2005).